

دار اليوم

الإعلام.. ٥٠ عاماً مقبلة..!!

الإعلام الخليجي ومواجهة التحديات السياسية الراهنة.. مفهوم منظومة الاتحاد
١٤ ديسمبر ٢٠١٤م

إعداد، عبدالنبي عبدالله الشعلة
رئيس مجلس إدارة دار البلاد للصحافة والنشر - مملكة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

طلب مني منظمو هذه الندوة، كما سمعتم، التحدث عن "الإعلام الخليجي ومواجهة التحديات السياسية الراهنة". ضمن العنوان الرئيسي؛ "الإعلام.. ٥٠ عاماً مقبلة..!!" وهو عنوان واسع عريض يطرح سؤالاً كبيراً وددت في البداية أن أحيب عنه بشكل مقتضب من دراسة تستند إلى العديد من المصادر المعتبرة أعدتها الباحثة الأمريكية Lauren Fisher تحت عنوان "The Future of Technology; What you can expect in The Next 50 Years" أن الإعلام الرقمي والأجهزة المحمولة ووسائل التواصل الاجتماعي ستسيطر على الساحة الإعلامية، وسوف تتفتت وتتوارى وسائل الإعلام التقليدية وتختفي من الوجود بحلول العام ٢٠٥٥م، وأنه بحلول العام ٢٠٦٣م ستزرع في مخ الإنسان رقائق رقمية تجعله يستقبل ويخزن المعلومات والأخبار أثناء النوم!!

في العام ١٩٩٥م كانت نسبة مستخدمي الإنترنت في العالم تبلغ ١%، وبنهاية هذا العام، أي بعد بضعة أيام، سترتفع هذه النسبة إلى ٤٠% إذ سيبلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العالم أكثر من ثلاثة مليارات مستخدم، وسيبلغ عدد خطوط أجهزة الموبايل المستخدمة ٧ مليارات، وعدد مستخدمي وسائل الاتصال الاجتماعي مليارين. وسيشهد العالم نمواً هائلاً خلال السنوات العشر المقبلة في الاتصالات المتنقلة ذات النطاق العريض، فبحلول العام ٢٠٢٠م ستزدحم الكرة الأرضية بأكثر من ٥٠ مليار جهاز متصل.

إن الموجة الرقمية اجتاحت الفضاء الإعلامي بالفعل، وإن صناعة الاتصالات أصبحت الآن، وبكل وضوح، تلعب الدور الأكبر في النشاط الإعلامي، وإن الإعلام التقليدي أخذ يتراجع بمسافات متفاوتة أمام الزحف الجارف للإعلام الرقمي، ويحدث هذا الزحف في كل أرجاء المعمورة، بما في ذلك دول مجلس التعاون الخليجي، بحيث أصبح الاختراق الرقمي، في منطقتنا، يشكل بحد ذاته أحد التحديات وليس مجرد أداة لمواجهة التحديات في المنطقة كما سنرى لاحقاً.

من ناحية أخرى، فقد بات واضحاً أيضاً أن زخم نمو المنظومة الإعلامية الرقمية بين الدول المتقدمة والدول النامية بات مترادفاً ومتقارباً، وتكفي الإشارة هنا إلى ما حققته الهند من إنجازات ونجاحات في هذا المجال، على سبيل المثال لا الحصر، كما أن القناعة أصبحت مستقرة على أن دول العالم النامية هي التي ستتصدر سباق التوسع وستقود عمليات التطورات المقبلة في صناعة الإعلام الرقمي بشكل خاص. منطقتنا تنتمي إلى أسرة العالم النامي، ولا أتصور أننا سنتخلف كثيراً عن هذا الركب.

وتؤكد دراسة أعدها مؤخراً المركز المالي الكويتي أن المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة هما في مقدمة الدول الخليجية في تبني الإعلام الاجتماعي، ويعتبر اليوم موقع فيسبوك أوسع قنوات التواصل الاجتماعي استخداماً في دول الخليج العربي، فقد تجاوز عدد مستخدميه في المنطقة ١٦ مليون

مستخدم، كما ينفرد موقعا تويتر ولينكدان بقاعدة مستخدمين كبيرة في منطقة دول مجلس التعاون تزيد على ثلاثة ملايين مستخدم لكل منهما.

اليوم يبلغ عدد خطوط أجهزة الموبايل العاملة في دول مجلس التعاون الخليجي ٨٤ مليون خط، وعدد مستخدمي وسائل الاتصال الاجتماعي ١٨ مليون مستخدم، وعدد مستخدمي الإنترنت ٣٦ مليون مستخدم.

والجدير بالذكر في هذا الصدد أن نسبة المستخدمين للإنترنت من عدد السكان في المملكة العربية السعودية بلغت ٤٩% مقارنة بنسبة ٦٣% في دول الاتحاد الأوروبي.

من ناحية أخرى، فإن من المتوقع أن يصل الإنفاق الحكومي في دول المجلس على قطاع تقنية المعلومات والاتصالات لفترة السنوات الأربع الأخيرة المنتهية في العام ٢٠١٥ إلى ٢٤٤ مليار دولار أمريكي.

السادة الحضور الكرام

لقد كان الإعلام الخليجي، حتى عهد قريب، محصوراً في أيدي الحكومات عن طريق وزارات الإعلام، وكان دوره الأساسي يتمثل في نقل الخبر والترويج للسياسات والبرامج الحكومية وترسيخ ثوابتنا الدينية والسياسية والاجتماعية والحضارية، وحماية المجتمع مما نعتبره أفكاراً هدامة مارقة، وفي بعض الحالات، وربما دون قصد، تعزيز مشاعر الشك والخوف من سلبيات الحداثة والمدنية.

وإذا قال قائل بأن ذلك الواقع أدى إلى ركود الإعلام الخليجي الذي ظل تأثيره طفيفاً ودوره متواضعاً في المساهمة الفاعلة الناضجة في صياغة مستقبل المنطقة ومواكبة واستقراء الأحداث، فإن ذلك القول يعد مجحفاً ومتغافلاً عن انعدام تجربتنا وحداثة عهد دولنا أو كياناتنا السياسية الخليجية الوليدة، التي سعد معظمها على المسرح الدولي عند منتصف القرن الماضي وما بعده، ورُجَّحَ بها في الحال في أتون وحلبات الصراعات والأطماع الدولية المستعرة، ولم يتمكن الإعلام الخليجي طري العود من تحصين مجتمعاتنا من عواصف تلك الصراعات والأطماع.

لقد هبت الدول الخليجية، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية لمواجهة هذا التحدي، وقامت، هذه الدول، في وقت قياسي بتشبيد شبكة من المرافق والمؤسسات الإعلامية اللافتة، وجلبت وطورت الكفاءات والمهارات البشرية اللازمة، وطلقت المئات من المبادرات والمشاريع والوسائل والقنوات ضمن منظومة ما أصبح اليوم يسمى بالإعلام التقليدي.

لقد أوفت الحكومات الخليجية وأدت دورها، ولأسباب عملية ومنطقية فإنها لن تستطيع الاستمرار في تحمل مسؤولية والتزامات تسيير وتطوير الصناعة الإعلامية دون مشاركة المجتمع بمختلف مكوناته المعنية وعلى رأسها وجوه ومؤسسات القطاع الخاص.

وعلى أساس أن هذه الصناعة، وعلى رأسها التكنولوجيا الرقمية، أصبحت صناعة صاعدة واعدة؛ فإن قوى السوق ومؤسسات القطاع الخاص ستهب بحماس أكبر للانخراط والاستثمار في هذه الصناعة، وستصبح أضخم المؤسسات والوسائل الإعلامية في قبضة القطاع الخاص الذي سيساهم في تدعيم المقومات الحديثة للإعلام وتمكينه من مواجهة التحديات والتصدي لها.

إن حجم السوق الإعلاني العالمي المغذي للصناعة الإعلامية بلغ هذا العام ٥١٨,٨ مليار دولار أمريكي، وسيرتفع في العام المقبل (٢٠١٥) إلى أكثر من ٦٠٠ مليار دولار.

لقد بلغ حجم الإنفاق الاعلاني في دول مجلس التعاون الخليجي ٥,٨ مليار دولار أمريكي في العام ٢٠١٢، أنفق ١٨% منها في وسائل الإعلام الرقمية، وسترتفع نسبة الزيادة السنوية للإنفاق الإعلاني في وسائل الإعلام الرقمية إلى ١٦% بحلول العام ٢٠١٥ بعد أن كانت ٢% في العام ٢٠٠٩.

إن التطورات والأحداث السياسية العاصفة والقضايا المصيرية الساخنة والقفزات التكنولوجية الواسعة أصبحت تستدعي بل تفرض على الحكومات الخليجية المبادرة والإسراع في مراجعة مواقفها وتبني سياسات وخطط تتجاوب مع الواقع والمستجدات وتجعل القطاع الإعلامي الخليجي قادراً على مواجهة التحديات ومهياً لخدمة قضايا ومصالح دولها وشعبها وصيانة مقدراتها، مبادرات وخطط إعلامية تأخذ في الاعتبار ضرورة تمتين وتكثيف علاقات الحكومات بالقطاعات الإعلامية وإقامة فاصل بين العمل الاعلامي والإدارة الحكومية، انطلاقاً من القناعة بأن مرحلة احتكار وهيمنة الحكومات للإعلام قد انتهت، وأن استمرار الأجهزة الحكومية في تسيير الأنشطة الإعلامية وإدارة دفتها أصبحت صعبة أو ربما مستحيلة. وعلى الحكومات أيضاً الإقرار بإمكانة السلطة الرابعة وتبديل أو تبادل أو انقلاب الأدوار، بحيث أصبح الإعلام هو الجهة الموجهة للحكومات وهو الجهة التي تقوم بمراقبتها ومحاسبتها وليس العكس، وذلك بهدف تعزيز مصداقية الخطاب الإعلامي الخليجي، وتطوير صناعة إعلامية خليجية مفتوحة الأجواء، تلتزم بأدب الحوار وقبول الاختلاف والاعتراف بالآخر.

وليس أمام دول مجلس التعاون الخليجي من خيار سوى قبول واحتضان وتشجيع انسياب المبتكرات الإعلامية الحديثة ومحتوياتها والتعامل معها بكل إيجابية وشفافية وثقة، بعد أن أثبتت تلك المبتكرات فاعليتها وقدرتها الخارقة على إحداث الهزات والتغييرات الجذرية والتحويلات السياسية، كما حصل في عدد من الدول العربية قبل بضعة أعوام ضمن ما سمي برياح "الربيع العربي".

لقد بدأت بالفعل علاقة الجيل الخليجي الجديد تتوثق بتلك المبتكرات والوسائل، وأصبح الحصول على خدمة الإنترنت، على سبيل المثال، يعتبر حقاً مشروعاً للفرد ضمن منظومة او مفهوم حقوق الإنسان. إن علينا أن ندرك أن منصات التواصل الاجتماعي أصبحت تشكل قنوات او منافذ للشباب الخليجي يعبرون من خلالها عن طموحاتهم وتطلعاتهم وهمومهم واهتماماتهم، وتحولت إلى ما يشبه أجهزة الرصد أو صمامات أمان يفرغون عبرها جرعات التذمر والاحتقان بدلاً من كبتها وتركها كقنابل موقوتة. إن دول مجلس التعاون، قادة وشعوباً، تؤمن بحتمية التغيير، ولا تخشى التطور أو الإصلاح بل تسعى إليهما كحاجة نابعة من المصلحة الوطنية،

ولكنها تؤمن في الوقت نفسه بأن تحقيق ذلك لا يتم بالأسلوب الفوري أو الثوري أو بقوة السلاح والعنف وفي ميادين الاقتتال وعن طريق سفك الدماء، إن تحقيق الغايات والأهداف الوطنية العليا يجب السعي إليه بأسلوب الحوار وعبر منصات السجال الفكري الرصين وضمن مسلك الاعتدال والتدرج، ليس على الصعيد السياسي فحسب، بل على الصعيد الاجتماعي أيضاً.

إن من بين أخطر وأقبح إرهابات وتدابير فلسفة الربيع العربي ظهور أو توسع الحركات الإرهابية وبالتحديد حركة "داعش"، أو ما يسمى بتنظيم "الدولة الإسلامية" التي نشطت، في إطار خطة محكمة، وتمكنت بل أتقنت استخدام وتجنيد تكنولوجيا الإعلام الرقمي، بشكل بارع، لخدمة أهدافها وبت أفكارها وعرض بضاعتها وتوسيع قاعدة أنصارها، إلى جانب زرع الرعب في نفوس مناوئها ومخالفها عن طريق بث مقاطع مصورة مليئة بمشاهد دموية مرعبة . وفبركة حالة أسطورية مغرية وجاذبة للمتذمرين والساخطين والمحبطين والمهمشين.

الحركات الإرهابية رسمت صورة مشوهة للعرب والمسلمين،، التقطها أعداؤنا الذين تولوا مهمة أو جريمة ترديدها وتضخيمها. ولقد استفادت الحركات الإرهابية من توارى وضعف الخطاب المعتدل.

ولا يمكن كسب الحرب ضد الإرهاب من غير تجنيد واستنفار وسائل الإعلام وإعطائها دوراً أكبر في محاربة الإرهاب والتصدي له عن طريق نشر قيم التعايش والحوار، وكشف الخروقات وتعريتها ورسم الصورة الحقيقية للإسلام، مع إبراز وسطية ديننا الحنيف وعدالته وسماحته، في مواجهة حملات التشويه والإساءة، مع التأكيد على أن الوسيلة الوحيدة لحماية مجتمعاتنا من إغراءات الإرهابيين بإزالة أسباب التذمر

والاحتقان وإطلاق الحريات، وتبني اطروحات جديدة تعمل على استنهاض موروثاتنا الحقيقية وقيمنا الأصيلة ومعتقداتنا الناصعة، في العدالة والمشاركة والحرية وحقوق الإنسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته